الرجل المبتسم

قبل خمس سنوات مضت، كنت أعيش في وسط مدينة كبيرة في الولايات المتحدة. كنت أحب الليل، وكثيرا ما كنت أشعر بالضجر بعد أن ينام زميلي في السكن، والذي لم يكن يحب الليل. وكنت أقضي معظم وقتي أتجول في أماكن كثيرة وأفكر بعدة أشياء.

قضيت أربع سنوات من عمري هكذا أمشي في الليل، ولم أحس يوما بالخوف من شيء ولم أر أبدا سببا للخوف. وكنت أمزح مع زميلي في السكن أنه حتى تجار المخدرات في المدينة كانوا مؤدبين. ولكن كل هذا تغير في دقائق قليلة من إحدى الأمسيات.

كان يوم الأربعاء، بين الحادية والثانية صباحا، وكنت أمشي قرب منتزه تحرسه الشرطة ويقع بعيدا عن شقتي. كانت ليلة هادئة جدا، حتى بالقياس مع غيرها من ليالي الأسبوع، فلم يكن هناك زحام ولم يكن هناك الكثير من الناس. وكان المنتزه بدوره فارغا مثل العديد من الليالي.

انحرفت في مسيري نحو شارع فرعي قصير لكي أتجه نحو شقتي. في نهاية الشارع البعيدة، رأيت صورة ظل رجل يرقص. كانت رقصته غريبة وتشبه الفالس، إلا أنه في كل لفة يخطو خطوة واسعة إلى الأمام. يمكن القول أنه كان يمشي ويرقص معا، وكان يتجه نحوي مباشرة.

فكرت أنه ربما كان ثملا، فانحرفت قليلا في مساري إلى حافة الرصيف لأمنحه مساحة أكبر وأدعه يتجاوزني. كلما اقتربت منه، كنت أرى أنه كان يتحرك برشاقة. كان طويلا وهزيلا ويرتدي بدلة قديمة. كان يرقص ويقترب مني حتى تمكنت من رؤية وجهه. كانت عيناه مفتوحتان بملء اتّساعهما، ورأسه مائلا قليلا إلى الخلف وينظر إلى السماء، وكان فمه مفتوحة بابتسامة عريضة جدا تشبه أفلام الكرتون. بعد أن نظرت إلى عينيه وابتسامته، قررت أن أعبر الشارع قبل يقترب مني أكثر برقصه.

أشحت عيني عنه لأعبر الشارع الفارغ. بعد أن وصلت إلى الجانب المقابل ونظرت إلى الخلف قبل أن أتوقف تماما في مكاني. توقف الرجل عن الرقص وكان يقف على قدم واحدة في الشارع، وكان يقف على اتجاه موازي تماما منّي. كان الرجل يقابلني إلا أنه ينظر إلى السماء والابتسامة العريضة لا تزال تعلو وجهه.

جعلني الأمر أفقد رباطة جأشي. وبدأت المشي مجددا، ولكن لم أبعد عينيّ عن ذاك الرجل الذي لم يتحرك من مكانه.

ظللت أمشي حتى منتصف المربع السكني وعيني على الرجل، ثم أدرت وجهي عنه لأشاهد الرصيف أمامي. كان الشارع والرصيف أمامي خاليا تماما. كنت ما أزال أحس بالخوف، ونظرت ورائي ولم أجده موجودا. وللحظة قصيرة أحسست بالراحة، إلى أن رأيته مجددا. كان الرجل قد عبر الشارع، وهذه المرة كان منحنيا للأسفل قليلا. كنت متأكدا أنه كان يواجهني، إلا أنه لم يكن بمقدوري التأكيد على الأمر بسبب الظلام والمسافة. لم أبعد نظري عنه أكثر من عشر ثواني، فكان من الواضح أنه يتحرك بسرعة.

كنت مصدوما ووقفت مكاني لبرهة وأنا أحدق فيه، ثم بدأ يتحرك نحوي مجددا. تحرك الرجل بخطوات طويلة على أطراف أصابعه، كما لو كان شخصية كرتونية تتسلل وراء أحدهم، عدا أنه كان يتحرك بسرعة.

كنت أتمنى أن أقول لكم أني هربت أو استخدمت رشاش الفلفل أو هاتفي النقال أو أي شيء آخر، ولكن لم أفعل. كل ما فعلته أني وقفت هناك متجمدا في مكاني وأنا أرى الرجل وهو يتقدم نحوي.

توقف الرجل مجددا، وكان يبعد عني بطول سيارة، وهو يبتسم تلك الابتسامة العريضة وينظر إلى السماء.

استجمعت شجاعتي للكلام مجددا، وقلت أول شيء خطر في بالي. أردت أن أساله "ما الذي تريده مني؟" بنبرة واثقة وغاضبة، إلا أني فقدت جرأتي مجددا وقلت "ما الذ...." قبل أن أتجمد مجددا.

لا أعرف إن كان بإمكان البشر أن يشموا الخوف كالحيوانات، ولكن بالتأكيد بإمكانهم أن يسمعوا الخوف بنبرة أي شخص خائف. كنت قد سمعت صوتي، وزاد هذا من خوفي. لم يظهر ذاك الشيء أي ردة فعل، بل وقف هناك وهو يبتسم.

وبعدها، بعد لحظات بدت أطول من الدهر، استدار الرجل ببطء، وبدأ يمشي ويرقص بعيدا عني. فقط هكذا. لم أرد أن أعود وأتكلم إليه مجددا، وشاهدته وهو يذهب بعيدا، وأبقيت نظري عليه حتى ابتعد وغاب عن الأنظار تقريبا. ثم رأيت أمامي شيئا غريبا، فلم يكن يتابع تحركه أو رقصه. شاهدت من بعيد شيئا أدخل الرعب في قلبي، فقد كان شكله يكبر شيئا فشيئا. عاد الشيء متجها نحوي، وهذه المرة كان يجري.

جريت أنا أيضا.

جريت بعيدا حتى ابتعدت عن الطريق الجانبي عدت إلى طريق به إنارة أفضل وبه حركة قليلة. نظرت إلى الخلف ولم أره بأي مكان. عدت إلى شقتي، وطوال الطريق كانت أنظر خلفي وأنا أتوقع رؤية تلك الابتسامة، ولكن لم أره على الإطلاق.

عشت في المدينة لستة أشهر أخرى بعد تلك الليلة، ولم أخرج في نزهة ليلية بعدها مطلقا. كان هناك شيء في ذلك الوجه يلازم مخيلتي. لم يبد أنه كان ثملا أو منتشيا بالمخدرات. كان يبدو أنه مجنون للغاية، وكان منظره مخيفا جدا.

القصة: The Smiling Man

الكاتب الأصلي: المستخدم blue_tidal على موقع ريديت في 6 أبريل 2012

المترجم: Omar35880